حديث

"خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلى صورَتِهِ"

دراسة وشرح

بقلم

الدكتور موسى إسماعيل البسيط
الأستاذ المشارك في كلية الدعوة وأصول الدين / جامعة القدس
عميد كلية الدعوة والعلوم الإسلامية / أم الفحم

حديث

"خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلى صورَتِهِ"

دراسة وشرح

بقلم

الدكتور موسى إسماعيل البسيط

الأستاذ المشارك في كلية الدعوة وأصول الدين / جامعة القدس

عميد كلية الدعوة والعلوم الإسلامية / ام الفحم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

القدس ١٤٢٣/٢٠٠٢

حديث

خلق الله آدم على صورته

دراسة وشرح


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (هو الله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى)

سورة الحشر/٢٤

وقال تعالى : (وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير)

سورة التغابن / ٣

وقال تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا

للملائكة اسجدوا لآدم) سورة الأعراف /١١



تقديم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وصلى الله على نبيه محمد الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

وبعد ..

فإن بحثي ليس في خلق الإنسان ، وبدايته وتطوره ، ولا في خلق آدم وتعليمه الأسماء ، وعصيانه ربه ، وحياته على الأرض ... ثم وفاته .

ولا أتناول في بحثي الأحاديث عن آدم عليه السلام ، على تنوع مصادرها ومراتبها ، بالشرح والتحليل .

وإنما أصب الاهتمام على جزئية ، هي غاية في الدقة ، تحقيقاً وتدبّراً ، لئلا تزل فيها الأقدام ، وتزيغ عن الحق فيها القلوب والأقلام ، ذلك ما جاء به نص حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام حين قال :

(فإن الله خلق آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً)

فقد ذاع هذا الحديث بين الناس ، واختلفوا في فهمه ، فمن قائل : أراد على صورة الله فأدخل الشبه ، ومن قائلٍ : إن الله خلق آدم على صورة آدم لما خلقه ، وقال آخرون غير ذلك .

فلما تضاربت في فهم هذا النص المشتبه المفهوم ، حتى وقف المرء منها موقف المهموم ، شمّرت عن ساعد الجد لكشف المشتبه ، وتوعية المسلم المنتبه .

سائلاً المولى عز وجل أن ينير بصائرنا ويلهمنا الصواب .

وكتب

الدكتور موسى البسيط

بيت المقدس

١/ محرم / ١٤٢٣

١٤ / ٣ /٢٠٠٢

الصورة والتصوير

أكثر ما يثير الإشكال في نص هذا الحديث ، عود الضمير في قوله صلى الله عليم وسلم [**على صورته**] ، وقبل أن نعالج الاشتباه ، أرى ضرورة كشف معنى "الصورة" في لغة العرب، فلعله ينكشف لنا ، ولو جزء مما يشتبه علينا ، في فهم عبارة الحديث .

لقد ورد لفظ **الصورة والتصوير** في القرآن الكريم فمن ذلك قوله تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين) سورة الأعراف/١١ .

كان خلق آدم مما وصف الله ، من طين لازب ، من صلصال من حمأ مسنون ، ثم صوّره على المثال الذي أبدعه ، ثم خلقه خلقاً سوياً ، فقال جلّ وعلا : (وصوّركم فأحسن صوركم) سورة غافر/٦٤ ، في أكمل صورة ، وأحسن تقويم ، وأجمل شكل .

وفي كتب اللغة ، صوّره الله صورة حَسَنَةً فتصوّر ، وتصوّرتُ الشيء توهمتُ صورته فتصور لي .

والصورةُ ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته ، يقال صورةُ الفعل كذا وكذا أي هيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته .[1]

والتصاوير ، التماثيل [2] ، والمصورون الممثلون الذين يصنعون الصور، وبوّب الإمام البخاري في الصحيح باب –عذاب المصورين يوم القيامة– [3] .

وأخرج حديث عبد الله بن مسعود قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (**إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون**) [4].

وقوله صلى الله عليه وسلم : (**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم**) [5] .

---

[1] ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد ، النهاية في غريب الحديث (٥٨/٣).
[2] ابن منظور ، لسان العرب (٤٣٨/٧) .
[3] الباب التاسع والثمانون من كتاب اللباس -٧٧- (فتح الباري ج١٠/٣٨٢) .
[4] أخرجه البخاري في كتاب اللباس من صحيحه برقم (٥٩٥٠).
[5] أخرجه البخاري في كتاب اللباس من صحيحه من حديث عبد الله بن عمر برقم (٥٩٥١) .

إن لفظ الصورة ابتداءً يُحمل على ظاهره ، من إعطاء الشيء شكلاً خاصاً وهيئة مفردة يتميز بها ، ومن ذلك ، صناعة التماثيل والتحف والأشكال ... ، ثم للكلمة من بعدُ استعمالاتها في اللغة ، كما ذكر علماء اللغة .

قاعدةٌ نفيسةٌ

إننا حين نتعامل مع نصوص الوحي التي تحمل وصفاً لله تعالى ، ننطلق من منهجية علمية رصينة في فهم أسماء الله وصفاته ، تقوم هذه المنهجية على أسس ثلاثة ؛ فالله تعالى فيما وصف به ذاته لا يشبه صفات المخلوقين (ليس كمثله شيء) سورة الشورى/١١ ، (ولم يكن له كفواً أحد) سورة الإخلاص ، (فلا تضربوا لله الأمثال) سورة النحل /٧٤ .

ويستلزم الإيمان بالله تعالى وتوحيده ، الإيمان بما وصف الله به نفسه ، إذ لا يصف الله تعالى إلا الله ، هو أعلم بذاته (أأنتم أعلم أم الله) سورة البقرة/١٤٠ ، وكذلك الإيمان بما وصفه به رسولُه لأنه أعلم البشر بصفات ربه عز وجل .

وباستعراض ما حَفَل به القرآن والسنة من صفات ، نجد منها صفات يتصف به المخلوقون أيضاً ، فالله تعالى وصف نفسه بالسمع، وهي صفة للمخلوق ، وكذلك البصر ... فهل ننفي عن الله تعالى هذه الصفات ، للإشتراك في الإتصاف بها مع المخلوقين ؟ أم نثبتها لله تعالى ، ونبالغ في إثباتها على نحو نصل فيه إلى التشبيه والتجسيم ؟ كلا ، فلا نفي ولا تجسيم .

إن هذا المنهج السوي في التعامل مع الصفات ، ترشد إليه الآية الكريمة (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) إذ الشق الأول من الآية فيه نفي للمماثلة ، فسمعه ليس كسمع المخلوقات ، وبصره ليس كبصرها .

والشق الثاني ، فيه إثبات الصفات ، ولكنها صفاتٌ لائقة بكمال الله وجلاله ، والمخلوقات لها صفات مناسبة لحالها ، إن صفات رب السماوات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين .

وثمة أمر لا بد منه في التعامل مع صفات الله تعالى ؛ أن يقطع الإنسان طمعه وفضوله عن إدراك حقيقة وكنه الصفة ، لأن إدراك الكنه أمر مستحيل ، والله تعالى يقول: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً) سورة طه /١١٠ ، فلا إحاطة للعلم البشري برب السماوات والأرض ، لأن العقل الإنساني المخلوق ، مهما بلغ من الذكاء وقوة الإدراك ، قاصر وعاجز عن معرفة ذلك، بل قاصر وعاجز عن إدراك حقيقة كثير من الأشياء المحيطة به ، فكيف يطمع ويطمح إلى معرفة حقيقة الذات الإلهية وصفاتها .[١]

---

(١) الأشقر ، عمر سليمان ، منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات (ص ١٩٨) .

ميزة المنهج :

وهذا المنهج يُقَدِّر الله حق قدره ، ويُجنّب المؤمن السقوط في الأعماق السحيقة التي بلغها أصحاب الكتب السابقة ، حين أساءوا فهم نصوص كتبهم ، فانحرفوا في فهمهما ، ما بين تأويل وتمثيل وتشبيه وتجسيم .

وقد وجدنا في أسفار العهد القديم نصوصاً كثيرة ، تجسّم الخالق وتشبهه بالإنسان ، بل تنسب مشاعر الإنسان الضعيفة إلى الله تعالى بشكل يستحيل معه التنـــزيه ، كما تصفه بكثير من صفات الحوادث والنقص التي يمتنعُ وصفُه بها.

وتأمل هذه النصوص في كتب اليهود ، لتعلم الحدّ الذي وصلوه في سوء الأدب مع الرب تعالى:

" ظهر الرب ليعقوب ليلاً فتصارعا حتى الصباح ، وأبى يعقوب أن يطلقه حتى يباركه فباركه وسمّاه إسرائيل " سفر التكوين ٣٢/٢٤-٣٠ .

إن إلههم ، حسب تصورهم لا يختلف عن البشر ، يفكرُ تفكيرهم ، ويفعل فعلهم ، ويشابههم " يندم ، ويحزن ويلعب ويرقص ....

وتأمل هذا النص : " فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " سفر الخروج ٣٢/٩-١٤ .

وأيضاً: " وسمعا – آدم وحواء – صوتَ الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله ، فنادى الرب آدم فقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة ... إلى أخره " .

وتأمل : " وبكى الإله على هدم الهيكل ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد قائلاً : تباً لي صرّحت بخراب بيتي ، وإحراق الهيكل ونهب أولادي " بل إنه تضاءل بسبب حزنه الشديد .

هكذا يتعاملون مع أوصاف الله تعالى من غير تقدير (وما قدروا الله حق قدره) . سورة الأنعام / آية ٩١

وبمثل ذلك تعامل اليهود مع نص يتكلم عن بدء الخلق للإنسان فقد ورد في أول ورقة من توراقم ذِكْر خلق آدم وتصويره ، لكنّ النص جزم بعقْد الشبه بين الخالق والمخلوق ، صورة آدم كصورة الله تعالى ، وهذا هو النص قال فيه : " أصنع أبناء آدم كصورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التي تدب على

الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى خلقهم "[1].

هكذا إذن الإنسان صورته وشبهه ، كصورة الله وشبهه في النص عند يهود .

ولا يقال إنهم فهموا إضافة الصورة إلى الله إضافة ملك وخلق! لأن قوله "كشَبَهِنا" منع هذا التأويل ، وأوجب شبه آدم لله تعالى ، وليس لله تعالى شبيهٌ ولا مثيلٌ .[2]

لكن كيف كان مبدأ خلق آدم ؟ وعلى أي صورة كان خَلْقه ؟ وكيف نفهم النصوص النبوية فهْماً نَسْلَمُ فيه من الخلط؟

---

(1) الكتاب المقدس ، سفر التكوين ١/٢٦ ، ٢٧ ونصه " وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا "

(2) ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل (١/١١٧) .

أحاديث تصوير آدم عليه السلام :

ثبت في السنة الصحيحة أن خلق آدم كان على صورته مكتملاً غير ناقص ، ما كان صغيراً فَكَبُر ، ولا قصيراً فازداد طولاً ، وإنما خُلِق بوصفه الذي جَلّته النقولُ الثابتة ، بما لا يدع مجالاً للتخبط والتخمين ، إذن ، ماذا كان وصف آدم ، وعلى أي صورة خُلِق ؟

في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال : إذهب فسلّم على أولائك النفر – وهم نفر من الملائكة جلوس – فاستمع ما يحيّونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، قال : فذهب فقال : السلام عليكم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، فزادوه، ورحمة الله . قال : فكلّ من يدخل الجنة على صورة آدم ، طوله ستون ذراعاً ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن)**[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب خلق آدم .. (٢٦٠/٦) وفي الاستئذان ، باب بدء السلام .
ومسلم رقم (٢٨٤١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها .
وعبد الرزاق رقم (١٩٤٣٥). وأحمد ٣٢٣/٢، ٣١٥.

وحديث آخر لأبي هريرة في هذا الإطار ، يفيد ما يفيده الحديث السالف ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(إذا ضرب أحدُكم فليجتنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته)** .[1]

وفي رواية **(إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ، ولا تقل قبح الله وجهك ، ووجَه من أشبه وجهك ، فإن الله خَلَق آدم على صورته)** .[2]

ولا بد أن يُعلم أن (المصوّر) اسم من أسماء الله الحسنى ، صوّر الموجودات ، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة ، وهيئة مفردة ، يتميز بها على اختلافها وكثرتها .

وقال ابن سِيَده : "الصورة في الشكل" ، يعني تكون في شكل المخلوق .[3]

ولعل بعض من نظر في هذه الأحاديث والروايات ، أشكل عليه عود الضمير ! أيعود على آدم أم على الله تعالى !؟ الأمر الذي أحدث اختلافاً كبيراً ، فأوقع في التشبيه والتجسيم ، وهو مذهب

---

[1] أخرجه مسلم في البر والصلة رقم (٦١٢) ، وأحمد (٢/ ٤٦٣، ٥١٩٩)
[2] أخرجه أحمد (٢ / ٢٥١، ٤٣٤) .
[3] ابن منظور ، لسان العرب (٤٣٨/٧) .

منحرف ، وقع فيه من سلك سُبُلاً معوجّة في التعامل مع نصوص الوحي الإلهي .

وإزاء ذلك ، فما بُدٌّ من بسط الموضوع وتجلية الأمر ، بما يزيل الإشكال العالق في فهم الأحاديث، في ضوء الموازين العلمية المرعية.

وابتداءً لا بد من التأكيد على ما أسلفنا ، من أنه ليس لله تعالى صورة ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع العليم﴾ .

وقد استقر في قلوبنا من مسلّمات العقيدة وبدهياتها ، مخالفة الله تعالى للمخلوقات والحوادث ، الأمر الذي يسوق إلى القول ، بتحطيم المقاييس والموازين التي يقيم الإنسان عليها نظرته في تصور كنه الرب عز وجل ، وتخيّل كيفيته ، ولا سبيل إلى ذلك إلا التسليم بالنص ، والوقوف عند ظاهره ، من غير طمع إلى النفاذ إلى كنه أو كيفيةٍ .

والضمير في الحديث (**خلق الله آدم على صورته**) عائد إلى آدم، لأن (الهاء) وقعت كناية بين اسمين ، ولا يصلح أن تُصرف إلى الله ، لما تقدم ذكره ، من أن الدليل قائم على أنه ليس لله صورة .

صورة متفردة لآدم

وكأن الحديث يخص آدم بصورة متفرّدة في مبدأ خلقه ، تغاير مبدأ خلق نسله من بعده .

إن ذرية آدم كان خَلْقُها أطواراً ، فالإنسان من ذرية آدم يبدأ خلقه نطفةً ، ثم علقةً ، ثم مضغةً ، ثم يصير جنيناً إلى تمام الحمل حتى يولد طفلاً ، وينشأ صغيراً إلى أن يكبر ويشب ، وهذا ما تحكيه الآيات التي تناولت مبدأ الخلق وتطوره ،

قال تعالى: (ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفةً في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين) سورة المؤمنون /١٣.

وقال تعالى : (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ، فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة، لنبيّنَ لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من

يُتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً) سورة الحج/٥ .

وقال أيضاً : (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث) سورة الزمر/٦ .

هذه أطوار خلق الإنسان من ذرية آدم ، النطفة ، ثم العلقة ، ثم المضغة ، ثم العظام ، ثم تُكسى العظامُ باللحم، ثم يكون خلقاً آخر متضمناً الروح .

لكن آدم أبو البشر جميعاً ، ما كانت هذه بدايةُ خلْقه ، ولا تَدّرج في هذه الأطوار، فكأن خلقه جاء فريداً ، على صورة فريدة، وليس فيها التطور المرحلي ، فأوجده الله تعالى تام الخلق على صورته التي خُلق عليها ، طولُه ستون ذراعاً .

وقد وردت أحاديث في صورةِ آدم قبل نفخ الروح فيه :

عن العرباض بن سارية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمجنْدلٌ في طينته ، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي ابراهيم ،**

وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام) .[1]

في ذلك إثبات ختْم محمد صلى الله عليه وسلم النبيين في أم الكتاب، وآدمُ ملقى على الأرض مصوّراً مجسّماً ، في مرحلة الطين.

وفي حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(لما صور الله تعالى آدم في الجنة ، تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يطوف به ، ينظر إليه ، فلم رآه أجوف عرف أنه خلقٌ لا يتمالك)** .[1]

إذن آدم مصوَّر ، وإبليس يطيف به ، ويدور حوله ، فاطّلع فرأى لآدم جوفاً ، فعلم أن مثلَ هذا الخلق غيرُ متمالك ، لا يحبس نفْسَه من الشهوات .

قال أبو العباس القرطبي : " إن الله تعالى لما صور طينة آدم ، وشكّلها بشكله على ما سبق في علمه ، فلما رآها إبليس ، أطاف بها ، أي دار حولها ، وجعل ينظر في كيفيتها وأمرها ، فلما رآها

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٧،١٢٨/٤) ، والبيهقي في الدلائل (٨٠/١) ، والطبراني في الكبير (٢٥٢/١٨)، والحاكم في المستدرك (٦٠٠/٢) . والحديث صحيح لغيره ، وفي الباب عن أبي هريرة قال: (يا رسول الله ، متى وجبت لك النبوة ؟ قال: وآدم بين الروح والجسد) أخرجه الترمذي (٣٦٠٩) وقال: حديث حسن غريب .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦١١) وابن سعد (٢٧/١) والحاكم (٥٤٢/٢) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٨٦ ، والطيالسي(٢٠٢٤) ، وأحمد (١٥٢،٢٢٩،٢٤٠،٢٥٤/٣) .

ذات جوف ، وقع له أنها مفتقرة إلى ما يسد جوفها، وأنها لا تتمالك عن تحصيل ما تحتاج إليه من أغراضها وشهواتها، فكان الأمر على ما وقع " .[١]

واكتمل خلق آدم ، ودبت الحياة والحركة في صورته ؛ في حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لما خلق الله آدم نفخ الله فيه الروح ، فعطس آدم وقال: الحمد لله ، فحمد الله بإذْنه، فقال له ربُّه : يرحمك الله يا آدم ، إذهب إلى أولائك الملائكة، إلى ملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم، قالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك وبنيهم . فقال الله له ، ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت ، فقال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة ، ثم بسط فإذا فيها آدم وذريته فقال: أي رب ! ما هؤلاء ؟ قال: هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسانٍ مكتوبٌ عمرُه بين عينيه ، فإذا منهم رجل أضوؤهم، أو من أضوئهم ، قال : يا رب مَنْ هذا ؟ قال: هذا ابنك داود ، وقد كتبت له عمر أربعين سنة قال : يا رب زدْ في عمره ، قال ذاك الذي كتبت له ، قال : أي ربّ فإني جعلت له من عمري ستين سنة ، قال: أنت وذاك ، ثم اسكن**

---

[١] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٥٩٦) .

الجنة ما شاء الله ، ثم اهبط منها. فكان آدم يَعُدّ لنفسه، فأتاه ملك الموت، فقال له آدم : قد تعجلتَ، قد كُتب لي ألف سنة، قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة ، فجحد فجحدت ذريته ، ونسي ونسيت ذريته ، فمن يومئذ أُمر بالكتاب والشهود) . [1]

وفي وصف صورة آدم عليه السلام ، صحّ أنه كان رجلاً طوالاً ، كأنه نخلةٌ سحوقٌ كثيرُ الشعر [2].

والنخلة السحوق ، يعني الطويلة التي بَعُد ثمرها عن المُجْتَني .[3]

وقد جزم الحافظ ابن حجر بعوْد الضمير في الحديث على آدم، وأن المعنى ؛ أن الله أوجد آدم على الهيئة التي خَلَقَه عليها، لم ينتقل في النشأة أحوالاً ، ولا تردّد في الأرحام أطواراً كذريته ، بل خلقه الله رجلاً كاملاً سوياً ، من أول ما نَفَخ فيه الروح .[4]

وهذا المعنى يؤكده البيهقي حين يُعلّق على الحديث بقوله : "إن آدم لم يكن خلْقه على هذه الصفة – يعني صفة خلْق ذرية آدم

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) ، وابن سعد (١/٢٧-٢٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٤-٣٢٥) ، والحاكم في المستدرك(١/٢،٦٤/٣٢٥)
وقال الترمذي : حسن غريب ، والحديث عند الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
[2] ابن سعد (١/٣١) ، والمستدرك (٢/٥٤٣-٥٤٤) .
[3] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(٢/٣٤٧) .
[4] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٦٦/٦ .

أطواراً – لكنه أول ما تناولته الخلقة وُجد خلقاً تاماً ، طوله ستون ذراعاً .. " .

ورجح الإمام الشوكاني " أن الضمير يعود إلى آدم وهذا هو الظاهر " ، " لأن أقرب اللفظين هو المرجع في الغالب ، ويتعين المصير إليه عند الاشتباه " . ويوضح الشوكاني المعنى " بأن الله جل جلاله أخبر عباده على لسان نبيه ، أنه خلق آدم على الصورة التي رأوه عليها ، بلا زيادة ولا نقصان ، كما هو الغالب في الخلق ، فإنهم يزيدون في أوائل العمر وينقصون في آخره " . [1]

إذن ، آدم كان مخلوقاً على صورته التي كان عليها بعد الخروج من الجنة ، لم تشوّه صورته ، ولم تتغير خِلْقته .

أي أنه خلق آدم على صورة آدم ، لكن الإمام أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة لا يرضى هذا التفسير حين يورد الحديث في كتابه تأويل مختلف الحديث [2] ، ويعلّق منتقداً قائلاً: " فقال قوم من أصحاب الكلام: أراد خلق آدم على صورة آدم لم يزد على ذلك ! ولو كان المراد هذا ما كان في الكلام فائدة – ومن يشك في أن الله تعالى خلق الإنسان على صورته، والسباع على صورها والأنعام على صورها ؟ " .

---

(١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ص ٥٠٩ .
(٢) ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ص١٤٧ .

ولست أرى ما يمنع رجوع الضمير إلى آدم ، والتأويل الذي غمز به ابن قتيبة تأويلٌ سائغ ، فالله تعالى خلق آدم على الصورة التي خلقه عليها ابتداءً .

ويعرض العلامة ابن منظور لمرجع الضمير فيقول: " يُحتمل أن تكون (الهاء) راجعة إلى اسم الله ، وأن تكون راجعة على آدم، فإن جَعَلْتها عائدة على آدم ، كان معناه على صورة آدم ، أي على صورة أمثاله، ممن هو مخلوق مدبّر، فيكون كقولك للسيد والرئيس: قد خدمُته خدْمَتَه ، أي الخدمة التي تحقّ لأمثاله ... " [1]

---

[1] لسان العرب ، ابن منظور ٤٨٣/٧ .

إزالة الإشكال

وحديث أبي هريرة الآخر ، الذي أشكل فهمه عند فريق من الناس، والذي ينهى الأخَ عن ضرب وجه أخيه ، وتقبيحه لأن الله خلق آدم على صورته .

هذا الحديث من الوضوح بحيث لا ينبغي أن يُشكل ، وقد علمنا أن ربنا ليس بذي صورةٍ ولا هيئةٍ ، فالصورةُ تقتضي الكيفية ، وهي عن الله وعن صفاته منفيّة .[1]

والله تعالى خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أُمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب ، بل وزجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول له ضاربه: ووجه من أشبه وجهك ، لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه . أجل ، الصورةُ هي الصورة ، والشبهُ مطابقٌ ، وحين يقول الشاتم المقبّح لبعض بني آدم ؛ قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبّحاً وجه آدم صلوات الله عليه وسلامه .

ويؤيده حديثُ سويد بن مقرن ، أنه رأى رجلاً لطم غلامه فقال: أوَما علمتَ أن الصورةَ محرّمة ؟![2]

---

[1] البيهقي ، الأسماء والصفات ص١٧ .

[2] أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٣٣) ، وأحمد (٤٤٧/٣ و ٤٤٤/٥) عن سويد بن مقرن ؛ " أن جارية له لطمها إنسانٌ فقال له سويد: أما علمتَ أن الصورة مُحرّمة ؟ فقال: لقد رأيتني وإني لسابع إخوة لي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما لنا خادم غير واحد ، فعَمَد أحدنا فلطمه ، فأمرنا رسول الله أن نعتقه ".

ومقصود الحديث ؛ إكرام وجه المؤمن لحرمته ، ولشرفية هذا العضو ، ولأن الشرع الحنيف قد نزّل هذا الوجه ، منــزلة وجه أبينا ، وتقبيح لطم الرجل وجهاً يشبه وجه أبي اللاطم ، وليس كذلك في سائر الأعضاء ، لأنها كلها تابعة للوجه ، ونرى الحديث يُطلق الأخوّة ، ويريد بها الأخوّة الآدمية ، فالناس كلّهم بنو آدم ، فكأن اللاطم في وجه أحد ولد بني آدم لطم وجه أبيه آدم ، وعليه فيحرم لطم الوجه من المسلم والكافر، جزم بذلك القرطبي وابنُ حجر .[1]

وينتقد ابن قتيبة [2] هذا التأويل ، ويرى أنْ لا فائدة فيه ، من حيث أن الناس يعلمون أن الله تبارك وتعالى خلق آدم على خلق ولده ، ووجهه على وجوههم !

[1] القرطبي ، ابو العباس ، المفهم لما أشكل من صحيح مسلم (٦/٥٩٧) ، وانظر أيضاً ابن حجر ، فتح الباري ١٨٣/٥ .
[2] ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث . ص ١٤٨ .

حديث مُعَلّ

ومن العلماء مَن أعاد الضمير في قوله (**خلق الله آدم على صورته**) إلى الله تعالى ، وربما استندوا فيما ذهبوا إليه إلى حديث من رواية عمر رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لا تقبحوا الوجه ، فإن ابن آدم خُلق على صورة الرحمن**) .

وهذا الحديث ننظر إليه من زوايا ؛

الزاوية الأولى ؛ **زاوية الثبوت بتتبع الروايات ونقدها** :

فقد حدّث بهذه الرواية جرير ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عمر .

وروى الثوري هذا الخبر مرسلاً غير مسند .

فقد أخرجه ابن خزيمة من طريق عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن عطاء مرسلاً .

وجزم ابن خزيمة [(١)] بأن في هذا الخبر عللاً ثلاثاً ؛

إحداهن ، أن الثوري خالف الأعمش في إسناده ، فأرسل الثوري ، ولم يقل عن عمر .

الثانية ، أن الأعمش مدلس ، لم يذكر سماعه من حبيب بن أبي ثابت.

[(١)] ابن خزيمة ، التوحيد وإثبات صفات الرب (ص٣٨) ،

الثالثة ، أن حبيب بن أبي ثابت مدلس ، لم يُعلم أنه سمعه من عطاء.

وعليه فالحديث ضعيف .

ثم هو من زاوية الصياغة منتقد ، فكأنهم أرادوا القول : إن الله عز وجل خلق آدم على صورة الرحمن ، يريدون أن تكون الهاء (**في صورته**) لله ، وأن ذلك يتبين بأن يجعلوا "الرحمن" مكان "الهاء" كما تقول : إن الرحمن خلق آدم على صورته .

وقد عقب ابن قتيبة ناقداً هذا التركيب قال: فركّبوا قبيحاً من الخطأ، وذلك أنه لا يجوز أن نقول : إن الله تعالى خلق السماء بمشيئة الرحمن ، ولا على إرادة الرحمن ، وإنما يجوز هذا إذا كان الاسم الثاني غير الاسم الأول ، أوْ لو كانت الرواية ، لا تقبّحوا الوجه فإنه خُلق على صورة الرحمن ، فكأن الرحمن غير الله أو الله غير الرحمن .

وينتهي ابن قتيبة إلى أن رواية ابن عمر هذه إن صحت ، وليست بصحيحة –كما قررنا– فهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا تأويل ولا تنازع فيه .[١]

---

[١] ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ص ١٤٨ .

تفسير صوفي للحديث :

ومن أهل الطرق الصوفية مَنْ فسَّر (... على صورة الرحمن) تفسيراً مخالفاً للعقيدة ، حتى إنّ منهم مَنْ نَظَرَ إلى الهيئة والسِمَة المعنوية للإنسان نظرتهم إلى صورة الرحمن !! ، وهو انحراف عن جادة الحق ، وقولٌ بالحلول والعياذ بالله ، والله منـــزّهٌ عن الشرك ، ليس له قطعاً مثالٌ ، ولا صورةٌ ولا شبيه .

ولله درّ الأستاذ بديع الزمان النورسي [1] الذي أنكر على المتصوفة فَهْمهم ، وأورد فهماً آخر لهذا النص ، على فرض ثبوت أصحيته فقال : " ولهذا الحديث الشريف مقاصد جليلة كثيرة منها؛

---

(1) سعيد النورسي ولد في قرية "نورس" شرقي الأناضول "تركيا" سنة (١٨٧٦م)، كان موصوفاً بالذكاء الخارق وقوة الحافظة ، ولتعدد قابليته وشهرته أطلق عليه لقب "بديع الزمان" .
حين بلغه قول "غلادستون" :(ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم ... إلخ) زلزله هذا التصريح ، وصمّم بينه وبين نفسه أن يكرّس حياته لإظهار إعجاز القرآن حيث قال: " لأبرهن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ، ولا يمكن إطفاء نورها " .
من أقواله : " إن الدولة العثمانية حُبْلى بجنين أوروبا ، وستلدها يوماً ما ، أما أوروبا فهي أيضاً حُبْلى بجنين الإسلام وستلد يوماً ما " .
عاش سعيد مجاهداً في سبيل الله ، وقضى ثمانية وعشرين عاماً من حياة النفي والسجن والمضايقات ، ولكنه استطاع وحده - بفضل الله تعالى - أن يهزّ تركيا من أقصاها إلى أقصاها ، حتى إن حقد أعداء الإسلام وغيظهم ، دفعهم إلى الانتقام منه ، بنقل رفاته خِلسة ودفنها في إسبارطة ، في مكان مجهول لا يعلم .
وقد كانت وفاته سنة (١٩٦٠) ، ٢٥ رمضان (١٣٧٩) .
راجع في ترجمته (بديع الزمان سعيد النورسي ، نظرة عامّة عن حياته وآثاره) لإحسان قاسم الصالحي ،
وانظر (عُجالة مقتطفة في حياة بديع الزمان) لمحمد زاهد الملا كردي .

أن الإنسان مخلوق على صورة تُظْهر تجلّي اسم الله (الرحمن) إظهاراً تاماً ، وبيان ذلك ؛ أنّه مثلما يتجلى اسم الرحمن من شعاعات مظاهر الأسماء الحسنى على وجه الكون ، ومثلما يُعْرض (الرحمن) بتجلياتٍ لا تحدّ للربوبية المطلقة على وجه الأرض ، كذلك يُظْهر سبحانه التجلي الأتم لذلك الاسم (الرحمن) في الصورة الجامعة للإنسان ، يُظهره في الأرض وفي الكون بمقياس أوسع وأكبر ، وكذلك فيما يتعلق بالإنسان والأحياء عموماً ، فإن لهذا الحديث الشريف إشارة كذلك إلى أنّ في الإنسان والأحياء من المظاهر الدالة على (الرحمن الرحيم) ما هو بمثابة مرايا عاكسة لتجلّياته سبحانه ، فدلالة الإنسان عليه سبحانه ظاهرة قاطعة جليّة، تشبه في قطعيتها وجلائها دلالة المرآة الساطعة بصورة الشمس وانعكاسها على الشمس نفسها " . [1]

ولا يقول النورسي بأن صورة الإنسان على صورة الرحمن ، بل يرى أن في إبداع خلق الإنسان ودقّة تصويره دلالة على اسم الرحمن . [2]

[1] كليات رسائل النور "اللمعات" (١٥٣/٣) .
[2] المصدر السابق (١٥٤/٣) .

ويقر النورسي أن الحديث من جوامع الكلم ومن الأحاديث المتشابهة ، وأن العقل عن طريق التفكير يذعن بالأسماء الإلهية وصفاتها بعلم اليقين ، فيكسب الإيمان التحقيقي .

وفي الوقت ذاته ينفي النورسي الصورة عن الله ، وأنها محالة في حقه تعالى .[1]

ويؤكد على أنّ الله صَوَّر الإنسان في أحسن صورة ، حتى أصبحت صورته مدار نقوش تجليات أسمائه الحسنى الباقية ، لذا فسعادة هذا الإنسان تكون في التوجه إلى ربه وخالقه ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى بخالص العبودية .

هكذا إذن يقرّب الأستاذ النورسي فهم هذا الحديث والمقصد منه، بعيداً عن عقد الشبه والصورة ، وإنما هي آيات خلق الإنسان، وبيان دقائق النعمة في صورة الإنسان ، وبدائع الحكمة في ملامح الإنسان ، ولله المثل الأعلى .[2]

---

(١) المرجع السابق (١٥٤/٣) .
(٢) كليات رسائل النور "الملاحق" (٢٨٤/٧) .

تأويلات سائغة :

ومن زاوية أخرى نقول ؛

على فرض التسليم بهذه الرواية ، فيقال إن إضافة الصورة إلى الرحمن في قوله (.. على صورة الرحمن) من قبيل إضافة الخلق إليه تعالى ، لأنه تعالى خالق الخلق ، **فالصورة** تضاف إلى الرحمن ، لأن الرحمن مصوّرها ، وهذا نظيره قول الله تعالى :

(هذا خلْق الله فأروني ماذا خَلَق الذين من دونه) سورة لقمان / ١١ ، فأضاف الخلق إلى نفسه إذْ الله تولى خلقه .

وقال: (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) سورة النساء/٩٧ .

وقوله : (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) سورة الأعراف/١٢٨.

وقال : (فطرة الله التي فطر الناس عليها) سورة الروم/٣٠ ،

فأضاف الله الفطرة إلى نفسه ، إذْ الله فطر الناس على هذه الفطرة .

وهنا (**على صورته**)، أي صورة الخلق التي صوّره الله عليها.

فما أضافه الله تعالى إليه من الذوات فهي مخلوقة ، كبيْت الله وناقة الله . . . .

ويؤيد الشوكاني هذا التأيل فيقول: " وأما ما رُوي من أنه خلق آدم على صورة الرحمن ، فالمراد أنه خلق آدم على صورةٍ صوّرها الرحمن ، فيكون معناه صحيحاً " . [1]

ويُبْرز أبو العباس القرطبي [2] وجهاً آخر من وجوه الفهم للضمير على تقدير عوْده إلى الله تعالى ؛ فقد يراد بالصورة الصفة ، كما يقال صورة المسألة كذا ، أي صفة المسألة ؛ وصوّر لي فلان كذا فتصورته ، أي وصفه لي ففهمته ، وضبطتُ وصفه في نفسي، وعليه يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (**خلق آدم على صورته**) أي ، خلقه موصوفاً فالعلم الذي فَضُل به جميع أصناف الحيوانات ، وخصّه بما لم يخص به أحداً من ملائكة الأرضين والسماوات .

ويرى ابن منظور [3] أن الضمير في الحديث ، إن كان عائداً على اسم الله فمعناه ؛ أي على الصورة التي أنشأها الله وقدّرها ، فيكون المصدر حينئذ مضافاً إلى الفاعل، لأنه سبحانه هو المصوِّر لا أن له ، عز وجل ، صورةً ولا تمثالاً ، فقولنا : لعمْر الله ، إنما هو ؛ والحياة التي كانت بالله والتي آتانيها الله تعالى .

---

(1) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ، محمد بن علي (ص ٥٠٩) .
(2) القرطبي ، المفهم لما أشكل من كتاب مسلم (٦/ ٥٩٧-٥٩٨) .
(3) ابن منظور ، لسان العرب ، (٤٣٨/٧) .

تأويل آخر

ويورد ابن قتيبة تأويلاً آخر للحديث يذهب إليه أهل النظر ؛ بأن الله تعالى أراد أنه خلق آدم في الجنة على صورته في الأرض ، وكأنّ قوماً قالوا ؛ إن آدم كان من طوله في الجنة كذا ، ومن حليته كذا ، ومن نوره كذا ، ومن طيب رائحته كذا ، لإبراز المخالفة بين خلقه في الجنة وخلقه في الدنيا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (**إن الله خلق آدم –يريد في الجنة – على صورته يعني في الدنيا**)

ولا يسلّم ابن قتيبة بهذا التأويل قائلاً:

" ولستُ أحتّم بهذا التأويل على هذا الحديث ، ولا أقضي بأنه مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، ويرجع ذلك إلى أنه وجد في التوراة أن الله عز وجل لما خلق السماوات والأرض قال : نخلق بشراً بصورتنا ، فخلق آدم من أدمة الأرض –يعني من باطن الأرض– ونفخ في وجهه نسمة الحياة " .[1]

وعليه ، فابن قتيبة لا يرى أن هذا النص في التوراة يصلح له التأويل السابق !!

وكذلك يورد ابن قتيبة حديث ابن عباس " أن موسى ضرب الحجر لبني إسرائيل فتفجر وقال لهم موسى: إشربوا يا حمير ، فأوحى الله

[1] ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث (١٤٨-١٤٩) .

تبارك وتعالى إليه ؛ عمدتَ إلى خلقٍ من خلقي ، خلقتهم على صورتي ، فشبهتهم بالحمير ، فما برح حتى عوقب " .[1]

ولست أدري كيف يرتكز ابن قتيبة في رفضه للتأويل السابق ، إلى نص التوراة ، ومقطوع لدينا أنها نصوصٌ لم تسْلم من تحريف وتبديل ، أو تأويل بعيد .

وتقدم أن النص[2] فيه ، لفظة "كَشَبَهنا" ، وعلى فرض عدم وجودها في النص الذي وقع عليه ابن قتيبة ، فهذا يعزز القطع بتعدد النصوص، الأمر الذي يزيد من الشك في مصداقية نصوص التوراة .

ويبدو أن اعتماد نص التوراة تكِئَةً لردّ التأويل ، وإن كان تأويلاً مستبعداً ، أمرٌ مجانبٌ لمنهج التحقيق والتدقيق .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/١٤٠) وعزاه لابن أبي شيبة بسنده إلى مجاهد.

(٢) انظر (ص١١) من هذا البحث ، وهو مطابق لنسخة التوراة المطبوعة في (استكهولم) ، ولِما نقله ابن حزم وضمّنه كتابه (الفصل في الملل والنحل ١/١١٧).

ابن قتيبة والتسليم بالنص

وفي الوقت الذي ألفينا أهل العلم يجنحون إلى تأويل هذا الحديث بوجوه التأويل المتعددة ، ويقطعون بعوْد الضمير إلى آدم ، واستبعاد عوده إلى الله تعالى ، نجد رأياً آخر لابن قتيبة يغاير الآراء الأخرى ، رأي التسليم والوقوف عند ظاهر النص ، من غير تكلّفٍ للتأويل ، سواء كان تأويلاً قريباً أم بعيداً .

فكما أننا ننطلق في فهم آيات الصفات المتعلقة باليد والعين ، من المنطلقات التي قررناها أول البحث في ضوء منهج أهل السنة والجماعة ، فلماذا لا نأخذ النهج ذاته في إثبات هذا الحديث على ظاهره ، والتسليم به من غير تأويل ، وذلك بقطع الطمع في إدراك كنه الصورة وكيفيتها ، فهذا منهج ينسحب على كل حديث من أحاديث الصفات .

قال أبو محمد بن قتيبة: " والذي عندي –والله أعلم– أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين [1] ، وإنما وقع الإلْف لتلك ، لمجيئها في القرآن ، ووقعت الوحشة من هذه ، لأنها لم تأت

---

(1) يقصد الآيات التي وردت فيها هذه الصفات ، منها قوله تعالى :
(يد الله فوق أيديهم) سورة الفتح /آية ١٠ ، وقوله : (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) سورة المائدة /آية ٦٤ ، وقوله تعالى : (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) سورة هود /آية ٣٧ ، وقوله: (ولتصنع على عيني) سورة طه /آية ٣٩ .

في القرآن ، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفيةٍ ولا حدٍ " . [1]

وما قاله أبو محمد رأيٌ له وجاهتُه من حيث الالتزام بالمنهج، ويمكن أن يُصار إليه حين يَعْسُر علينا فهم النص ، أو الجزم بعود الضمير .

وقد أمكن من خلال تتبع النصوص في مسألة تصوير آدم ، وموقف إبليس من صورته ... وغيرها من الحيثيات ، أن نفسّر الضمير ، ونعطي التأويل المناسب له .

ثم ما قاله أبو محمد من أن اليد والعين والأصابع ، وقع الإلْف بها لمجيئها في القرآن، أما الصورة فوقعت الوحشة منها لثبوتها في السنّة! فغير مسلّم ، فأين نجد ذكر الأصابع في القرآن ؟ وهذه السنّة فيها من أحاديث الصفات [2] ما فيها ، وفيها ذكر الأصابع ،

وقد ثبت عند مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يُصَرّفه حيث يشاء ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على

---

[1] تأويل مختلف الحديث (ص ١٤٩) .
[2] انظر في ذلك (التوحيد وصفات الرب) لابن خزيمة ، وانظر أيضاً (الأسماء والصفات) للبيهقي .

طاعتك)[1] وعند الترمذي من حديث أنس مرفوعاً : (**إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**) .[2]

ثم إن الإلْف وقع بالأحاديث التي فيها الصفات كما وقع بالآيات الكريمة التي فيها الصفات أيضاً .

لم يزل الطول ينقص !

وهل كان آدم في خلقه على هذا الطول المفرط "العملاق" ؟

سؤال يطرحه المتأمل في هذا الحديث ، ومن يجيل النظر في أفق التاريخ وأخبار بدأ الخلق .

في الحديث وَرَد قوله صلى الله عليه وسلم:(**وطوله ستون ذراعاً**).

ومن طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً : (**كان طول آدم ستين ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً**) .[3]

وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده إلى سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**يدخل أهل الجنة الجنة**

---

(1) وأخرجه مسلم في القدر رقم (١٧) وابن ماجه في المقدمة (١٣) وأحمد (١٦٨،١٧٣/٢) ، (٦/ ١٨٢،٢٥١،٣٠٢،٣١٥) .

(2) أخرجه الترمذي في باب القدر باب (٧) حديث رقم (٢١٤٠) ثم قال وفي الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة وعبد الله بن عمرو وعائشة وهذا حديث حسن ...

(3) مسند الإمام أحمد (٥٣٥/٢) .

جُرداً مُرداً ، جعاداً مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، على خلق آدم ستين ذراعاً في سبع أذرع) .[1]

والظاهر من مجموع النقول الصحيحة روايةً ، أن آدم خُلق في ابتداء الأمر على طول ستين ذراعاً .

ولا شك أننا لو تأملنا الأحافير وآثار الأمم الغابرة ، لن نجد ما يدل على طول الإنسان المفرط ؛ ستون ذراعاً ولا عُشْرها ، وفي الحديث (**فلم يزل الخلق ينتقص حتى الآن**) فكل قرن نشأتُه في الطول أقصرُ من القرن الذي قبله ، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة ، واستقر الأمر على ذلك !

لكنْ يبقى ما أثرناه من تساؤل ، حول مدى وجود آثارٍ قديمةٍ قبل آلاف السنين ، هي بعيدة عنا ، وتُعَدّ مِظَنَةً لوجود ما يدل على هذه النماذج العملاقة من البشر ، ذات الطول والعرض المفرطين الواردين في النقول الصحيحة ؟!!

بقي الأمر مشكلاً على علماء الحديث حتى أعلن الحافظ ابن حجر في الفتح قائلاً: "لم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال " .[2]

---

[1] ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٣٢/١) .
[2] ابن حجر ، أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٦٧/٦) .

وفي سبيل الوصول إلى إزالة الإشكال نقول :

إن بداية الخلق غيبٌ ، ولا سبيل إلى معرفة الغيب إلا بالخبر الصادق الصحيح ، وقد صح الخبر ههنا ، والله تعالى يقول:

(ما أشهدتهـم خلْق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهـم) سورة الكهف /٥١ .

ونقطع أنْ لا أحدَ من البشر يقدر على توفير إجابات عن أسئلة ، تساعد في تصور وتخيّل طول الإنسان المفرط ، الذي قد يصل إلى ثلاثين متراً في نشأته الأولى ، ومن هذه الأسئلة التي يمكن طرحها للحصول على إجابة تساعد في حلّ اللغز ما يلي :

متى خلق الله آدم ؟ وكم بين آدم عليه السلام ونوح عليه السلام ؟

وهذا الإنسان فيما توصل إليه من أحافيرَ وآثارٍ لأممٍ غابرةٍ ، هل حدّد كم بين أقدم الآثار وبين آدم من القرون ؟؟

ثم الخلق كما في الحديث **–لم يزل ينقص–** ، هذا التناقص ، هل كان تناقصاً بطيئاً أم تناقصاً سريعاً ؟

كلها أسئلة بحاجة إلى إجابة ، لنصل بعدُ إلى إزالة الإشكال ، ولكن نقول: علْمها عند ربي في كتاب

(وما أوتيتـم من العلـم إلا قليلاً) سورة الإسراء/٨٥ .

الخاتمة

وبعد

فنخلص من هذه الدراسة إلى ما يلي :

- إن منهج علماء الإسلام في تناولهم النصوص المشتبهة يعدّ منهجاً موصوفاً بالعلمية والإتزان ، تجنباً للوقوع في مزالق التأويل البعيد ، والهبوط في وحل الباطنية ، ومنشؤ هذا المنهج يكمن في معرفة قدر العقل ومحدوديته ، وتعظيم قدر الله وصفاته وأسمائه .
- بدت لنا شخصية آدم في القرآن والسنة واضحة ، فُصّلت معالمها ودقائقها ، وفي تناولنا لها ، يلزمنا الوقوف عند الصحيح من الروايات والآثار والأخبار .
- إن تصوير آدم عليه السلام على هيئة متميزة ، وما يتعلق بذلك من تسوية وتقدير لخلقه ، ونفخٍ للروح فيه ، وتكريمٍ لشخصيته ونسله ، ذلك كله، أفْصَحَتْ عنه آيات الكتاب، ونصوص الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- إن الضمير في قوله صلى الله عليه وسلم [على صورته] عائد إلى آدم ، على اعتبار تفرده بهذا التصوير ، وتميزه به

عن نسله ، الذي يمر في مراحل التخلق والتطوير والتصوير التي فصلتها الآيات الكريمة .

- ولقد التزم ابن قتيبة خطاً مغايراً ، حين وقف عند ظاهر النص ، مسلّماً بعود الضمير إلى الله تعالى ، مستنداً إلى ما نقل من التوراة ، وفي ذلك مجانبة للصواب .

وما أبداه العلماء من تأويلات للحديث تعتبر مقبولة ومستساغة، فلا يعدل عنها من غير برهان ساطع ودليل قاطع .

ثبت المصادر والمراجع

١ – أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، الأشقر ، عمر سليمان ، دار النفائس .

٢ – الأسماء والصفات ، البيهقي ، أحمد بن الحسين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ .

٣ – بديع الزمان سعيد النورسي ، نظرة عامة عن حياته وآثاره ، إحسان قاسم الصالحي ، مركز رسائل النور .

٤ – تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة الدينوري ، مكتبة المتنبي .

٥ – التوحيد وإثبات صفات الرب ، ابن خزيمة ، محمد ابن إسحق تحقيق محمد هراس ، دار الفكر بيروت ١٣٩٣ .

٦ – الجامع الصحيح ، سنن الإمام الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى ، تحقيق أحمد شاكر ، طبعة البابي الحلبي .

٧ – دلائل النبوة ، البيهقي ، أحمد بن الحسين ، تحقيق قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ .

٨ – الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، دار صادر – بيروت .

٩ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، أحمد بن علي ، مكتبة الرياض الحديثة .

١٠ - الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ، الإمام محمد بن علي ، الإكليل للطباعة .

١١ - كليات رسائل النور "اللمعات" ، بديع الزمان سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، الطبعة الثانية ، شركة سوزلر للنشر.

١٢ — الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، أبو محمد علي ابن أحمد ، دار المعرفة ، بيروت .

١٣ — لسان العرب ، ابن منظور ، محمد بن مكرم الأنصاري ، تنسيق علي شيري ، دار إحياء التراث .

١٤ — المستدرك ، الحاكم ، أبو عبد الله النيسابوري ، دائرة المعارف العثمانية .

١٥ — مسند الإمام أحمد ، دار الفكر العربي .

١٦ — المصنف ، للصنعاني ، عبد الرزاق بن همام ، المكتب الإسلامي .

١٧ — المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، القرطبي ، أحمد ابن عمر ، الطبعة الأولى دار ابن كثير .

١٨ — النهاية في غريب الحديث والأثر ، الجزري ، مجد الدين أبو السعادات ، ابن الأثير ، المكتبة العلمية .

العناوين

كتب ودراسات للمؤلف

١- الجماعة الأحمدية في ميزان الإسلام .

٢- العقود الدرية في الرد على الموسوعة العبرية .

٣- العَرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي / دراسة وتحقيق.

٤- الأحاديث المسندة المرفوعة من كتاب الفتن لنُعيم بن حماد، دراسة وتحقيق .

٥- حقوق المعوقين ورعايتهم في الشريعة الإسلامية .

٦- العُهدة العمرية بين القبول والرد .

٧- الصحيح المنتقى من أحاديث الفتن .

٨- جزء ابن فيل البالسي ، دراسة وتحقيق .

٩- منهج بديع الزمان النورسي في القصص القرآني " تحت الطبع "

١٠- الرواية الشفوية في الإسلام ، الأصول والضوابط .

١١- حديث خلق الله آدم على صورته ، دراسة وشرح .